



{إِنَّ نَـمَّآ التَّوْبَةَ عَلَى اللّٰهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا* وَلَئِستِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

هذا يعني أن الله تعالى فقط هو صاحب الحكم النهائي في قبول أو رفض التوبة من عبده، وهو تعالى لم يحدد وقتاً لها لازل الموت لم ينزل في ساحة العبد! فكيف يجيز الإلهي أو المتمزمت والمتطرف دينياً لنفسه ان ينارعه عز وجل في إرادته وحكمه؟ فيحكم على هذا بالكفر فيقتله وعلى ذاك بالفسق فيذبحه، ويرمي ثالث بالنار؟! سألنا من الناس فرصة التوبة؟!

هل ضمّن أحدٌ ان الله تعالى سيغفر له ذنوبه ولا يغفر ذنوب الآخرين ليزكّي نفسه ويتّهمهم؟! والله تعالى يقول {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللّٰهِ يَزْكِي مَنْ

يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}.

تعالوا نقرأُ علياً (ع) لنعرف لماذا كان يرفض أن يُحاكم الناس على عقائدهم فكان يرفض محاكم التفتيش بكل أشكالها.

يَقُولُ عليه السلام؛

يَا عِبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَا عَلَّاهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَيَّ زَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَا عَلَّاهُ مُعَذِّبٌ عَلايْهِ؛ فَلَا يَكْفُفُ مَنْ عِلْمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ زَفْسِهِ، وَلَيْكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَيَّ مُعَافَاتِهِ مِنِّي ابْتِغَاءً بِهِ غَيْرُهُ.

ويقول عليه السلام: {وَحَاسِبُ زَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنْ الْإِنْفُسِ لَهَا حَاسِبٌ غَيْرُكَ}.

وفي واحدةٍ من أعظم أقواله بهذا الخصوص، يقول (ع): {فَمَنْ شَغَلَ زَفْسَهُ بِغَيْرِ زَفْسِهِ تَحْيَرًا فِي الطُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَاكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيْطَانِيَّتُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَهُ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرِّطِينَ} وقوله (ع) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ زَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَا حَاةٍ}!.

عجباً لهؤلاء كيف يجروون على الله تعالى فيوقّتون للناس سقفاً زمنياً للتوبة وربّهم تعالى لم يفعل ذلك برحمته الواسعة! فقال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} مَنْ الذي منحهم هذا الحق؟!.

حقاً إنهم الحمقى الذين وصفهم أمير المؤمنين (ع) بقوله: {وَمَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ النَّاسِ فَأَنكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ الْإِغْمَاقُ بِعَيْبِنِهِ} فالذنوب تلبسهم من قمة رأسهم إلى أخمص قديمهم ومع ذلك تراهم مشغولون بتكفير هذا وتفسيق ذاك، لدرجة القتل والذبح

إنَّه نُ نهجُ الخوارج الذي ابتُلِيَ به الإمام والذي كرستهُ السُّلطات الحاكمة الطَّالمة على مرَّ التاريخ من أجلِ شرعنة كل أنواع عمليَّات التَّصفية التي تمارسها ضدَّ خصومِها ومن أيِّ نوعٍ كان، حتَّى إذا ظهرت الفِرَق الإرهابيَّة زادت في الطَّين بلاءً، كما نرى اليوم كيف أنَّ جماعات العُنف والإرهاب والجماعات (الدَّينية) المتمزَّنة تصادُّر حقوق النَّاس وتعتدي على خصوصيَّاتهم وتفتش في عقائدهم، وكلُّ ذلك باسم الدِّين وباسم الله تعالى بعد أن نصَّبوا أُنفسهم وكلاءَ عن السُّمَّاء!.

وعلى الرَّغم من أنَّ الإمام (ع) اعتبر أنَّه قضى على الفتنة على الأقلَّ من النَّاحية الفكريَّة والعقديَّة، عندما فضحهم بنصِّ القرآن والسَّيرة النبويَّة وبمنطق العقل، كما يقول (ع): {أَيُّهُمَا النَّاسُ فَإِنِّي فَفَعَلْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِدْ عِلَالِيَّهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيَّهَيْهَا، وَاشْتَدَّ كَلَالِيَّهَا} مع ذلك فلقد أوصى أصحابه أن لا يُقاتلوا الخوارج من بَعْدِهِ، فهو يميِّز بين ضالِّين، الأوَّل هو الذي يطلبُ الباطل فهو، إذن، هدفه من سَبِّق الإصرار والترصُّد، والثَّاني هو الذي يطلب الحقَّ فيظلُّ طريقه، كما يصف ذلك الإمام بقوله: {لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَا يَسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ} فَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ الْحَقَّ فِيْ خُطَى طَرِيقِهِ يُقْتَلُ عَلَى يَدٍ مِنْ هَبٍّ وَدَبٍّ وَمِنْ دُونِ أَدْنَى تَنْبِيهِ أَوْ تَحْذِيرٍ فِي إِطَارِ النِّظَامِ وَالْقَانُونِ، إِذَنْ لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ يُحَاوِلُ ذَلِكَ، وَلَمَا بَقِيَ مَعْنَى لِلتَّوْبَةِ وَلِتَقَاتِلَ النَّاسُ حَتَّى يُبِيدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا!.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ الإمام (ع) كان يميِّز بين النَّاس عندما يُحاجَّهم ويحاورهم، وهو درسٌ مهمٌّ جداً يجب أن نتعلَّمه، فليس كلُّ النَّاس نتحدَّث معهم بنفس الحُجَّة والدَّليل والبُرهان، فمن شهيد فتنةً وتورَّط فيها غير الذي لم يشهدا ولم يتورَّط فيها، ومن اعتقدَ بِشَيْءٍ وأجزمَ فيه ليس كذلك الذي لازال يشكُّ أو يتردَّد فيه، وهو الأمر الذي ينطبق اليوم تحديداً على الإرهابيَّين، فالذي ارتكب جريمة القتل لا نتعامل معه أو حتَّى نحاجَّه بنفس الطَّريقة والمفاهيم التي نَحاجَّ بها الآخر الذي لم يرتكب بعدُ جريمةً وانَّما اعتقدَ فقط بالعقيدة الإرهابيَّة التكفيريَّة، فليس من الصَّحيح أن نُساوي بينهم جميعاً فنزيدُ عددهم فنقوِّي مُعسكرهم وبالتالي نمنحهم الذَّريعة وندفعهم دفعاً صوب الإرهابيَّين المجرمين، وانَّما من المصلحة أن نميِّز بينهم لنفرِّق جمعهم لنعزل الشَّاك عن اليائس من أمثالِ ابْنِ مُلْجَم الذي استشهدَ بِالآيةِ الكريمةِ {أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} عندما سألَهُ الإمام عن علَّة فعلته الشَّنعاء وجريته الذُّكراء!.

يجب أن يكون حرصنا على حقن الدماء كحرص أمير المؤمنين (ع) الذي كان يبذل جهداً عظيماً لعزل ولو واحدٍ من (التكفيريين) عن صفوف الخوارج، وهذا ما أشار إليه خطاب المرجع الأعلى مؤخراً عندما قدّم واجب انقاذ النفس وحماية الأرواح على قتال الإرهابيين!

فمن كلامٍ له (ع) مع الخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة، أيّ الحكيم الذي اتّفق عليه الفريقان المتقاتلان في معركة صفّين {أَكُلُّكُمْ شَهِيدٌ مَعْنَدًا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنْنَا مَنْ شَهِدَ وَمِنْنَا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ}. قَالَ: فَاْمُتَّارُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلَايَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكُلَّكُمْ كُلًّا بِكَلَامِهِ. وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنْ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدَ نَاهُ شَهَادَةً فَلَا يَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَ هُمْ (ع) بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْرًا وَخَدْرِيعةً -: إِنْ خَوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَادُّوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُيُوحَانَهُ، فَالِرَّأْيِ الْقَدِيمِ مِنْهُمْ وَالتَّخْفِيسِ عَنْهُمْ؟

فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ طَاهِرٌ، إِيْمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدُوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَصُّوا عَلَى الْجَهَادِ بِذَوَاجِدِكُمْ، وَلَا تَلْتَهِتُوا إِلَى زَعَاقِ نَعَقٍ: إِنْ أُجِيبَ أَصْلٌ، وَإِنْ تَرِكَ ذَلٌّ.

انظروا كيف كان يُحاصرهم الإمام بالمسؤولية التي تترتبت على التزاماتهم ورأيهم والتي كانوا يُحاولون أن يتهرّبوا منها ويعصّبونّها في رأس الإمام، ظلماً وعدواناً، تارةً بالنسيان وأُخرى بالتناسي وثالثة بالتّضليل ورابعة بالتّعمية.

نفس الحال ما نمرّ به اليوم، ولذلك نحن بحاجةٍ إلى إِعلامٍ وطنيٍّ قويٍّ قادرٍ على الحوار وتنشيط الذّاكرة لردع التّهم والافتراءات والإشاعات وما يسعى الإرهابيّون لتناسيه. وهم يغسلون أدمغة الشّباب المغرّرين بهم. فما بالك إذا كان إِعلامنا الوطنيّ ضعيف الذّاكرة أو أن ذاكرته مُصفّرة؟

أَوْ أَلْزَمَهُ مُشْغُولٌ بِنَفْسِهِ؟!

فَهَلْ سَيَتِمُّكَ نَ مِنْ مُوَاجَهَةِ سِلِّ تَضْلِيلِهِمْ وَأَكَاذِيْبِهِمْ؟!